تجميع وتنسيق وتصميم الغلاف (العلوم السياسية) ملتقى شهداء البحرين وضحايا التعذيب

(العصيان المدني)





إعداد أحمـــد عبد الحكيـــم   د/ هشـــام مرســـي   م/وائـل عـادل

الحلقة الأولى

العصيان المدني... مقاومة أم احتجاج

"إن المقاومة تعني العصيان أو الرفض"

المقاومة والاحتجاج

يحكي بير هيرنجرين حكاية له مع أخيه الصغير وهو طفل: "من الدروس الأولى التي تعلمتها في العصيان المدني كان عند ولادة أخي الصغير... ولقد كنت مفتوناً بإصراره البريء على تنفيذ ما يشاء وبالطريقة التي يشاء، وعندما لا يرغب في عمل شئ فإنه ببساطة يرفض ولا يساوم على هذا الرفض وهو ما كان مغايراً تماماً لما كنت عليه حيث أنني كنت ابناً مطيعاً جداً.

ولا أقصد بهذا أنني لم أكن أحتج (protest) فلقد كنت أصيح بشكل عنيف وأصرخ وأجادل، ولكن عندما ينتهي هذا الاحتجاج والصراخ فإنني أنصاع في نهاية الأمر. كان هذا هو التباين بيني وبين أخي والذي ساعدني كثيراً في أن أفهم بوضوح الاختلاف بين مفهوم المقاومة (resistance) ومفهوم الاحتجاج (protest)".

وتتسم كلمة المقاومة اليوم بالنمطية وذلك لأن كل أشكال الاحتجاج - وللأسف - أصبحت فجأة تسمى مقاومة.

إن الاحتجاج قد يكون مجرد تعبير عن موقف إزاء قانون ما، أو موقف ما، ثم العودة والإذعان. أما المقاومة فتسعى إلى إلغاء القرار، أو تحدي القانون. إنها ترفض الإذعان أو الطاعة.

إن المقاومة في جوهرها هي العصيان. وقد يكون الاحتجاج أكثر قبولاً في بعض الحالات إلا أن تأثيره ليس كتأثير المقاومة (رغم أن الاحتجاج بالنسبة لنظام دكتاتوري يُعد شكلاً من أشكال المقاومة لأنه عمل غير مشروع في نظر الديكتاتورية شأنه شأن المقاومة).

جذور العصيان المدني

كان أول من استعمل مصطلح العصيان المدني وأشار إلى فكرته هو الكاتب الأمريكي هنري دايفيد ثوراو في مقاله الشهير "العصيان المدني" المنشور في سنة ١٨٤٩. وقد كتب مقاله الشهير هذا عقب امتناعه عن دفع ضرائب الحرب احتجاجاً على العبودية والقمع والاضطهاد والحرب التي كانت تخوضها الولايات المتحدة ضد المكسيك. ولم يكن الامتناع عن دفع الضرائب بالفكرة الجديدة وإنما استعملها مناهضو الاسترقاق وآخرون غيرهم. وكذلك لجأ كارل ماركس إلى هذه الفكرة حين حاول أن ينظم حملة لإقناع الأوربيين بعدم دفع الضرائب خلال الثورة التي اجتاحت أوروبا عام ١٨٤٨م.

تعريف العصيان المدني

يعرف بير هيرنجرين العصيان المدني في كتابه "طريق المقاومة... ممارسة العصيان المدني" بأنه:

 نشاط شعبيٍ متحضر[١].

 يعتمد أساساً على مبدأ اللاعنف.

 أنشطة العصيان المدني هي عبارة عن تحدٍ لأمر ما أو لقرار ما حتى ولو كانت غير مقيدة بالقانون.

 هدف النشاط المباشر هو أن يحافظ على أو يغير ظاهرة معينة في المجتمع.

 النتائج أو التبعات الشخصية جزء مهم من النشاط ولا ينظر إليها على أنها نتيجة سلبية.

ويجب الانتباه إلى أن العصيان المدني تقوم أنشطته على التحدي، فلا تقيده قوانين النظام، أو قراراته، وإن كان أحياناً يتم عبر القوانين. ومن ثم لا يستطيع النظام أن يفرضٍ على حركة العصيان نشاطاً بعينه أو يمنعها من نشاط، أو يفرض عليها ميداناً بعينه.

الجمهور هو المستهدف

إن المقاومة يجب أن توجه خطابها إلى المواطنين المذعنين. ويعتقد "ثوراو" أن المواطنين هم الذين يشكلون ويصنعون الجزء الأهم في جماعة العصيان المدني. كما يري أن أكبر الداعمين للأنظمة الجائرة والذين يمثلون أخطر وأكبر المعوقات أمام حركة المقاومة هم أولئك الذين يعترضون ثم يذعنون ويقدمون للنظم الولاء والدعم في النهاية.

وينبغي ألا تنشغل حركة العصيان المدني بتوجيه خطابها إلى الحاكم أو النظام، وتغفل عن اختيار خطاب مناسب للجماهير، يدعوهم للمشاركة في العصيان، ويحرضهم عليه، ويربط مستقبلهم بنجاحه. طالما أنها قررت المقاومة... وليس الاحتجاج.

لقد أوضح المهاتما غاندي - الذي قاد النضال ضد الاستعمار البريطاني في الهند - بشكل لا يقبل الشك أن العصيان يقوض من سلطة الدولة إلى حد بعيد، إذ يقول "لو أن الرجل يشعر أنه ليس من الرجولة أن يطيع القوانين الجائرة فلن يستطيع أي طاغية أن يستعبده".

وتكمن المشكلة الحقيقية في إذعان أكثر المواطنين وكونهم ضمن شريحة المجتمع المطيعة، وحين يستطيع ناشطو العصيان المدني تحفيز الآخرين على تحدي القوانين والتعليمات الجائرة عن طريق استثمار النتائج والعواقب المترتبة على الممارسة الحقيقية لأنشطة العصيان المدني، فإنهم ينجحون في مساعدة الجمهور كي

يتغلب على حاجز الخوف من العقوبات الشخصية.

إن العصيان المدني ينبغي أن ينظر له كوحدة متكاملة، حيث تكون العقوبة بنفس أهمية الأنشطة. إن العقوبات أو بالأحرى التغلب على الخوف من العقوبة أساس في مبدأ العصيان المدني.

والعصيان المدني لا يهدف فحسب إلى التأثير في الرأي العام؛ ولكنه يتجاوز ذلك ليصبح طريقة لتحفيز المواطنين على العصيان. والفعل أو النشاط وحده لا يكفي لتحقيق هذا الهدف. ولكن امتزاج عنصر الأنشطة بعنصر العقوبات يحدث الحافز القوي للعصيان والتغلب على الخوف من العقوبات.

لذلك يتم اكتساب الجماهير من خلال تقديم النموذج، الذي يرفض الانصياع للأوامر، وكلما صمد هذا النموذج أمام العقوبات كلما ازداد عدد المنضمين للعصيان. وعادة ما يكون دور حركات العصيان هو إشعال فتيل المقاومة وتقديم النموذج ليتبعها الأحرار ويقول جون راؤول في كتابه "نظرية العدالة": "ليس من الصعب أن تبرر حالة العصيان المدني في نظام غير عادل لا يتبع رأي الأغلبية، ولكن حينما يكون النظام عادلاً إلى حد ما تبرز مشكلة ألا وهي أن من يقوم بالعصيان المدني يصبح من الأقلية وتغدو عملية العصيان المدني وكأنها موجهة ضد رأي الأغلبية في المجتمع". لذلك تستفيد حركات العصيان من الظلم والتسلط، وتوظفهما في عملية التحريض، وكلما ازداد الظلم كلما كان ذلك في صالح حركات العصيان، وكلما زادت الجرائم المعلنة للنظام كلما كان ذلك سبيلاً إلى اجتذاب الجماهير. لذلك تستفيد حركات العصيان من أخطاء النظام، وتوظفها بشكل دقيق لجذب المزيد من الأحرار، ولتسقط شرعيته وهيبته.

وسائل العصيان لا تعرف السرية

تبعاً لقواعد العصيان المدني فإن المشاركين لا يتعمدون إخفاء وسائل أنشطتهم عن السلطة، وبهذا فإنهم لا يتعمدون تجنب النتائج أو التبعات السلبية لهذه الأنشطة. ولذا فإن كتابةِ شعار سياسي أو رسالة ما على حائط أو جدار ما تحت جنح الظلام يعتبر نوعاً من أنواع الاحتجاج، وليس المقاومة (إلا في ظروف معينة) رغم أن ذلك قد يعطي نتائج سياسية مرضية.

ولذلك ينبغي لحركات العصيان أن تعي هذه النقطة جيداً. أن المواطنين هم المستهدف الرئيس للعصيان، أن يرى الناس أفراداً من الشعب يمارسون العصيان جهاراً.. ويتحملون عواقبه... والأعمال التي تتم في جنح الظلام لا تشجع الآخرين على أن يقوموا بنفس العمل. لذلك قد لا تعد عصياناً... فالعصيان هو رفض للنظام وكسر لقانون أو وضع ما جائر دون تخفي.

وتكون مهارة الحركة في أن يستثمر جهازها الإعلامي هذه الأنشطة، وكلما زاد

القمع وبدأ التحرش بالمشاركين، كلما كان ذلك مؤشراً على نجاح العصيان. وحينها يستفيد الجهاز الإعلامي المقاوم من كل تحرش، أو صدام، أو كلمة نابية، أو فلتة لسان، أو عمل لا أخلاقي، أو مقتل لأحد المقاومين ليمتلك ورقة رابحة ودليلاً دامغاً على أن الشعب قرر العصيان. وإذا فوت الجهاز الإعلامي هذه الأحداث يكون قد فرط في أداة قوية من أدوات نجاح العصيان. إن قوة النشاط في فقه العصيان قد تكمن في العقوبة التي ستوجه إلى المقاومين، والتي سيستثمرها إعلام المقاومة..

المراجع

 Per Herngren, PATH OF RESISTANCE.. THE PRACTICE OF CIVIL DISOBEDIENCE, Revised edition ٢٠٠٤

[١] كلمة "مدني" صفة تتصل بالمواطن، ولهذا فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أن العصيان المدني يعني عصيان المدنيين.. أي المواطنين غير العسكريين، ولكن في حركة اللاعنف فإن كلمة "مدني" تعني عكس ما تعنيه كلمة عنف، وهذا معناه أن المشاركين في أي نشاط للعصيان المدني من كل قطاعات المجتمع - سواء كانوا عسكريين (يعصون الأوامر أو يغضون الطرف عن أنشطة المقاومين) أو غير عسكريين - يتصرفون بشكل مدني أي متحضر وبدون عنف. ولذلك يمكن أن نطلق عليه "العصيان الحضاري".

الحلقة الثانية

الحوار لغة العصيان

"إن العصيان هو حوار مع الخصم من خلال أنشطة المقاومة والمحاكمات... كما أنه حوار مع المواطنين"

الحوار لغة العصيان

أحسن ما يوصف به العصيان المدني أنه عبارة عن حوار. حوار مع الخصم من خلال أنشطة المقاومة والمحاكمات، كما أنه حوار مع المواطنين من خلال تحفيزهم للمشاركة في أنشطة المقاومة. وعادة ما تبدأ المقاومة بشكل تدريجي، فتبدأ حملة المقاومة مثلاً بالمفاوضات ثم تُصَعَّدُ تدريجياً (أو تبتكر أساليب أخرى) إذا لم تنجح المفاوضة في لفت انتباه الخصم وإقناعه بضرورة الحوار. وقد شبه غاندي هذه العملية بارتقاء درجات السلم، ففي مسيرة الملح الشهيرة عندما كسر الهنود قانون الاستعمار البريطاني وبدأوا يستخلصون الملح من البحر سأل أحد الصحفيين غاندي ماذا سيفعل لو لم تستجب السلطات لذلك... فأجاب: "عندئذ سأُصَعِّدُ الحملة". وذلك حتى يستمر الحوار بين المقاومة والنظام.

ومن الضروري أن يستمر هذا الحوار وألا يتوقف وألا يتم تجاهله، وأن يستهدف جر المجتمع كله من مسئولين ومواطنين إلى حوار مكثف، ذلك أن استمرار الحوار يعني استمرار الحركة في تحقيق أهدافها وازدياد قوتها، وفي توقف الحوار تعزيز لموقف النظام وازدياد قوته. وعلى الحركة ونشطائها أن يعوا أن عدم التهيب من السلطة

يجب ألا يؤدي إلى قطع الحوار الذي قد ينشأ نتيجة الحماس في دفع المقاومة إلى الأمام بشكل غير مدروس. أما إذا كان الخصم هو البادئ في قطع الحوار - لأسباب تكتيكية - فسيزيد ذلك من إمكانية خلق حوار مباشر بين مجموعة النشطاء من جهة وبين المواطنين من جهة أخرى. وهذا التطور هو الشائع في مثل هذه المواقف.

إن استجابة الخصم جزء ضروري في عملية المقاومة بغض النظر عما إذا كانت هذه الاستجابة سلبية أو إيجابية، جزئية أو كلية.

العصيان المدني والعمل المباشر

وبحسب استجابة الخصم تكون طبيعة النشاط. فقد يكون من الضروري أحياناً أن يأخذ العصيان المدني صورة العمل المباشر الرمزي، ومن الأمثلة على الفعل المباشر الرمزي ما قامت به حركة السلام في السويد عندما قامت بإعاقة جدية لتصدير السلاح في عام ١٩٨٣، حيث تمكنت مجموعة من النشطاء - رغم ضعفها التنظيمي - من تعطيل سفينة محملة بالسلاح لمدة ساعة، مرسلة برسالة رمزية بضرورة وقف تصدير السلاح كلياً، وفي نفس الوقت فقد حققت هدفها بشكل رمزي ومنعت تصدير السلاح فعلاً في هذا النشاط.

وعندما تقوم حركة ما بإيواء مجموعة من المشردين ممن لا مأوى لهم فإنها بذلك تسلط الضوء على قضية المشردين، وفي نفس الوقت تحقق هدفاً من أهدافها ألا وهو إيجاد مأوى لهؤلاء المشردين.

وعندما ينام عدد من النشطاء على شريط سكة حديد معترضين سير قطار محمل بأغذية فاسدة، فهم إنما يمنعون ذلك بأجسادهم، كما يعبرون عن ضرر هذه الأغذية وعن رفضهم لها.

وتجب الإشارة هنا إلى أن العمل المباشر لا يحظر الاستعمال الرمزي للقوة. فلقد قامت مجموعة من النشطاء المسيحيين بربط أنفسهم بالسلاسل، ومن ثم ربطوا هذه السلاسل بأبواب قواعد عسكرية معروفة في بريطانيا. وهم لا يعنون بذلك أن يحققوا هدفاً باستخدام قوة السلاسل؛ وإنما يريدون أن تصل رسائلهم إلى الرأي العام البريطاني والعالمي.

وهنا يبرز سؤال هام عن أخلاقيات حركة العصيان المدني ومبرراته.

أخلاقيات حركة العصيان المدني

يجب أن يمثل العصيان المدني حافزاً أخلاقياً للمواطنين ليكون جديراً بثقتهم. وتبدو هذه الثقة مستحيلة إذا هددت حركة المقاومة باستعمال العنف، مما يخلق عند الناس حالة ذهنية من الهلع تحول بينهم وبين الاستجابة للحافز الأخلاقي، وبهذا يصبح العصيان مصدراً للخوف بدلاً من الثقة. فالعصيان إذا ما كان مصحوباً بالعنف فانه يعزز قوة الخصم.

إن إدخال عنصر القوة الجسدية في المقاومة - خاصة في البداية مع ضعف الحركة - يؤدي إلى عزل الكثيرين من النشطاء عن المقاومة - خاصة الذين لا يمتلكون قوة جسدية. وبذلك تصبح حركة العصيان المدني قائمة على مجموعة مختارة بمواصفات محددة، وهو ما يضعف الحركة أمام قوة الطرف الآخر. ومشاركة المجموعات النسائية في أعمال العصيان المدني خير مؤيد لوجهة النظر هذه.

ويجب الانتباه إلى أن العصيان المدني لا يكون مؤثراً أو فعالاً إلا بمبررات أخلاقية نابعة من عدالة القضية التي قام من أجلها. فمثلاً حين يتعارض القانون المدني مع القيم الأخلاقية والدينية للمجتمع، أو يقوم النظام بمنع الحقوق الدستورية للمواطنين مثل حق التجمع السلمي أو حرية الاعتقاد الديني، أو فرض ضرائب على أفراد المجتمع واستخدامها في حروب ظالمة أو سرقتها لصالح أسرة النظام وحزبه، يجد العصيان المدني مبررات قوية لقيامه بأنشطته. فتحقيق العدل يفوق الالتزام بأي قانون جائر.

إن مسئولية الفرد تجاه مجتمعه ومطالبته بحقه الطبيعي في تلبية نداء الضمير يؤكد على وجوب مقاومة النظم الديكتاتورية وعدم السماح لها بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا أو أن تملي علينا مالذي يمكننا أو لا يمكننا عمله.

إننا عادةً ما نسمح للنظام بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا من خلال مانتصوره ممكناً أو غير ممكن، غير أنه من خلال أنشطتنا فقط تتأكد لدينا إمكانية الفعل أو استحالته. ففي مفاوضات نزع السلاح مثلاً من المنطقي والطبيعي أن تكون السلطة أو الحكومة وحدها هي القادرة على تحديد أي الأسلحة تنزع وأيها يدمر، ولكن عندما يقوم عمال مصانع الأسلحة من نشطاء العصيان المدني بإبطال فعالية هذه الأسلحة أو نزعها بأنفسهم تتغير حينها قناعاتنا حول من بإمكانه أيضاً أن يقوم بالعمل الذي ترفض الحكومة القيام به. فأشياء تبدو لأول وهلة أنها مستحيلة لكنها تحدث، وأمور تبدو في يد النظام وحده، لكن مجموعة بسيطة تستطيع أن تثبت عكس ذلك.

ولهذا لكي تصح تصوراتنا عن الإمكانية الحقيقية لفعل ما فلابد من إخضاعه للتجربة وهي وحدها الحكم الذي يقرر الإمكانية من عدمها. ولا ينبغي أن نكتفي بانهزام الإرادة والتسليم لإيهامات الخصم بأن كل شيء في قبضته وأننا يجب ألا نتخطى الخطوط الحمراء التي وضعها.

وبالمثل فإن رؤيتنا التقليدية لما هو صحيح وما هو خطأ تتحكم بسلوكنا إلى حد كبير، فطاعة القانون مثلاً وعدم تخريب الممتلكات مبدآن أخلاقيان متجذران في ثقافة المجتمع، ولكن حين يقوم نشطاء البيئة في أوروبا بتفكيك الآلات المضرة بالبيئة والتي يحميها القانون - أي يحمي الإضرار بالبيئة وتخريب الطبيعة - سيكون

من المعقد جداً أن نفهم هذا التعارض بين القضيتين. ماهو الصواب وما هو الخطأ. وعندما تقوم حركة العصيان المدني بالدعوة إلى الامتناع عن دفع الضرائب، فإنها لا تدعو لعمل غير أخلاقي - رغم أن ظاهره قد يبدو كذلك، فقد يكون الهدف من وراء هذا الامتناع هو إيقاف عمليات الرشاوى والفساد التي تتم تحت مظلة "الضرائب".

قد يتحدث الكثيرون عن أخلاقيات العصيان المدني، لكن هذه الأخلاقيات تختلف بحسب النظرة إلى ما هو ممكن وغير ممكن، وما هو صواب أو خطأ، والمطلوب هو إخضاع هذه الأعراف والقناعات للتجربة بالحوار مع الخصم ومن ثم كل المجتمع عن طريق أنشطة واستراتيجيات العصيان المدني.

المراجع

 Per Herngren, PATH OF RESISTANCE.. THE PRACTICE OF CIVIL DISOBEDIENCE, Revised edition ٢٠٠٤.

الحلقة الثالثة

العصيان المدني ومجموعات العمل

"عندما ينتظم ألف شخص في شكل مجموعات عمل متنوعة فإن قدرتهم على تصعيد المقاومة تكون أكبر من أن يتولى قيادة هذا العدد الكبير مجموعة صغيرة سرعان ما تنفد طاقتها" بير هرينجرين

ثقافة العمل في فريق

إن ثقافة "العمل في فريق" قيمة عظمى تفتقدها مجتمعاتنا بصفة عامة، فمجتمعاتنا قائمة على العمل والإنجاز الفردي. بينما قيمة أو كلمة الفريق تعني عدة أشياء. فهي تعني التعاون والتواصل وجودة وسرعة الإنتاج، وهي الأشياء التي يفتقدها العمل الفردي.

وقد تتواجد الجماعات والحركات، ولكنها لا تستفيد من قيمة العمل في فريق، فتغلب عليها النزعة الفردية في اتخاذ القرارات، وتدريب الأفراد على التبعية المطلقة. وهو أمر يختلف كلياً عن ثقافة "العمل في فريق"، والتي تجعل الفريق كله مسئولاً عن العمل، والنجاح والفشل، وتمنح الثقة لكل أفراد المجموعة، وتعزز قدرتهم على اتخاذ القرارات. وقد كان لهذه الثقافة دور كبير في ازدهار ونهضة المجتمعات الغربية.

جذور مجموعات العمل

أسست الحركة الفوضوية الأسبانية في الثلاثينات الكثير من أنشطة وأعمال المقاومة القائمة على فكرة مجموعات العمل. والتي فاقت نتائج استخدامها كل التوقعات، وأدت إلى الانتشار السريع للفكرة في العالم الغربي والولايات المتحدة الأمريكية خلال الثمانينيات من القرن الماضي.

ولقد أحدثت مجموعات العمل ثورة في مبدأ المقاومة باللاعنف. فقبل استخدامها كان على الفرد أن يبحث عن شخصية زعامية قوية مؤثرة ويأمل بذلك أن ينجح النشاط وأن يؤتي ثماره. أما مع ظهور مجموعات العمل فقد أصبح التخطيط واتخاذ القرارات ونجاح العمل من مسئولية الفريق بأكمله.

طبيعة مجموعات العمل

تتألف مجموعة العمل عادة من ثلاثة إلى خمسة عشر فرداً تجمعهم اهتمامات وأهداف مشتركة، وعادة ما يكون سر قوتها وتأثيرها نابع من قلة عددها إذ يمكنها القيام بعمل نوعي مبني على المشاركة الإيجابية لكل أفراد المجموعة، وتساعدها صغر بنيتها على مرونة حركتها وتجديد استراتيجيتها تبعاً لمتطلبات العمل. كما يضيف إلى قوتها أيضاً المرونة في الزمن، فيمكن أن تقوم بمهمة محددة قصيرة، أوتشارك في مهمات طويلة الأمد، أي تقوم بالعصيان المدني بشكل منتظم ومستمر. كما أن مجموعات العمل قد تعمل منفردة أحياناً (كمجموعة)، وقد تلتقي في عمل كبير موحد مع مجموعات أخرى.

ولمعرفة مدى ملاءمة مجموعات عمل العصيان المدني للحركات التغييرية لابد من التعرف على ميزاتها وعيوبها.

ميزات مجموعات العمل

١- ارتفاع مستوى حرية العمل واتخاذ القرار داخل المجموعة

- إذ أنها ذاتية الحركة، فتقرر آليات اتخاذ القرارات، وهي مسئولة مسئولية تامة عن النشاط الذي تؤديه، وذلك يمكنها أيضاً من سرعة اتخاذ القرارات، إذ يمكن تجميع أعضاء المجموعة بسرعة إذا ما حدث أمر جديد أو غير متوقع.
- كما أنها تمثل الوحدات الأساسية التي تتخذ القرارات في العمل الجماهيري.

٢- كفاءة عالية ونوعية للنشاط

- حيث أن المجموعة تختار النشاط الذي يتفق مع قدراتها ومواهبها وطاقاتها، وتقوم بتنفيذ الأنشطة التي تؤمن بها.
- وتقوم بأعمال إبداعية تحفز الجمهور، حيث أن لكل مجموعة حرية الابتكار في الأداء دون الخروج على "مبدأ اللاعنف". فيمتلىء يوم النشاط بالكثير من الأفكار التي قد لا يتسنى للقيادة المركزية أن تقوم بها. وكثيراً ما يفاجأ النشطاء أنفسهم حيث يرون الكثير من الأفكار التي لم يكونوا يتوقعونها والتي تقوم بها مجموعات أخرى، فتكسب النشاط جواً مشحوناً بترقب الجديد، والتنافس للإبداع.
- كذلك تزول الرتابة عن الأعمال المألوفة مثل "المسيرات" حيث تأخذ في كل مرة شكلاً مختلفاً، فمجموعة تستعد بعرض فني، وأخرى تحمل شعارات رمزية محددة، وأخرى تعد مجسمات رمزية.

 إذا ما حدث أن فقد أحد الأعضاء السيطرة على النشاط فإن أعضاء مجموعته يدعمونه لينجح نشاطهم.

٣- المرونة في الحركة

 إذ تتمتع بإمكانية وسهولة التقييم والتجديد تبعاً لمتطلبات العمل.
 وسهولة فك المجموعة وإعادة تركيبها بشكل جديد.
 وسهولة تدريبها وتعليم كل فرد فيها كيفية تكوين مجموعة جديدة في حال انفصاله عنها.
 ووقاية حركة العصيان من أخطار التكدس بالكم البشري غير الفعال، من خلال تقنين آلية تفكيك وتكوين المجموعات.

٤- مجموعات العمل تضمن استمرارية المقاومة وتصاعد وتيرتها

 فعندما يتعرض قادة ورموز الحركة لحصار أو إعاقة كبيرة عن العمل، تختار الكثير من المجموعات الاستمرار في المقاومة.
 وعندما ينتظم ألف شخص في شكل مجموعات عمل متنوعة فإن قدرتهم على تصعيد المقاومة تكون أكبر بكثير من أن يتولى قيادة هذا العدد الكبير مجموعة صغيرة من القادة الذين سرعان ما تنفد طاقتهم وإمكانيتهم في الاستمرار بالعمل.
 ولا يتطلب أسلوب مجموعات العمل - بالضرورة - شخصية قيادية، فالمجموعة تدير نفسها بنفسها ويمكنها تبادل إدارة العمل وقيادته.
 كما أنها تجنب الحركة العزلة عن المجتمع من خلال تنشيطه في مجموعات عمل متنوعة تعطي الجمهور الثقة في النفس واليقين بإمكانية الفعل دون إجباره على التقوقع على تنظيم بعينه. فكثير من الناس عندهم استعداد أن يشاركوا مع أصدقائهم في عمل ما. لكنهم يرفضون أو يخافون من الانضمام إلى حركة كبيرة.
 كما يصعب على النظام إيقاف عمل بهذا الأسلوب لا يقوم على تنظيم هرمي مثلاً يتوقف فيه العمل لدى ضرب قيادته. فعندما تتوقف مجموعة عن العمل ويضرب نشاطها، فإن بقية المجموعات تعمل، وتتم بقية الأنشطة.
 والعمل بهذا الأسلوب يقلل من نسبة المتسربين من المجموعة، حيث تتكون المجموعة من أفراد متجانسين ومتآلفين ومتفقين على الهدف.
 غالباً ما تزول النبرة الحزبية الاستعلائية، وتقدم مصلحة المشروع التغييري على مصلحة المجموعة. فكل مجموعة تسعد بظهور أخرى تساندها. وتؤيد أي مجموعة تتقدم بالمشروع خطوة. فمجموعة العمل تعلم أن وظيفتها إنجاز نشاط أو عدة أنشطة، وأنها في حاجة إلى مجموعات أخرى. وتتجنب صراع التجنيد والضم العشوائي للأفراد، إذ أن قوتها في قلة عددها. فتزول الأنانية والشعور بالفوقية

الذين يعوقان تقدم قوى التغيير.

٥- تأمين العمل

إذ تقلل من إمكانية اختراق المعادين أو المتهورين أو من يسهل استفزازهم للأنشطة، حيث أن كل مشارك في نشاط ما يكون منتمياً لأحد مجموعات العمل، وهذه المجموعات يعرف أفرادها بعضهم البعض بشكل جيد، ومن الطبيعي أن يطلب من الفرد الذي يخالف أو لا يؤمن بالخطوط العريضة أو بمبادئ اللاعنف أن يغادر المجموعة.

٦- ضآلة التكلفة الأمنية

فاعتقال المجموعة لا يوقع أفرادها تحت ضغط نفسي كبير أثناء التحقيق خشية ذكر أسماء وأنشطة كل أعضاء الحركة. وأقسى الخسائر سيكون اعتقال كل أفراد المجموعة فقط. بينما لا تزال المجموعات الأخرى تتحرك.

سلبيات مجموعات العمل

- صعوبة الانضمام إلى العصيان المدني العرضي (المفاجئ والناتج عن حادثة معينة).
- مجموعات العمل تخلق شعوراً بالالتزام والذي يتطلب من المرء بذل الكثير من الجهد والوقت.

إن أسلوب مجموعات العمل يمنع تكدس حركات العصيان بالكم البشري غير الفعال. كما أن حركة صغيرة الحجم من حركات العصيان إذا اعتمدت فكرة مجموعات العمل فإنها تضاعف من قوتها. وهذا الأسلوب مناسب أيضاً للأفراد غير المنضمين إلى حركات كبيرة، والذين يريدون أن يشاركوا في عملية التغيير.

إننا حين ندعو للعصيان فإننا نحارب الديكتاتوريات. وعليه فإن من واجب حركات العصيان أن تطلق حرية التفكير والإبداع وتَحَمُّل مسئولية النشاط، طالما أن العمل لم يتجاوز استراتيجيات "اللاعنف".

المراجع

- Per Herngren, PATH OF RESISTANCE.. THE PRACTICE OF CIVIL DISOBEDIENCE, Revised edition ٢٠٠٤.

الحلقة الرابعة

مجموعات العمل والتحضير للنشاط

إن مجموعة العمل تدرب على:

١- إقامة نموذج مصغر لمجتمع مقاوم حر في وحدة صغيرة.

٢- التخطيط للنشاط.

٣- تطوير أساليب اللاعنف بما يناسب تقاليد المجتمع.

لمن "مجموعات العمل"؟

يضمن نظام "مجموعات العمل" كفاءة عالية في إنجاز أعمال حركات اللاعنف والعصيان المدني. ويعتبر غاندي مؤسس فكرة اللاعنف أن الإعداد الروحي والعقدي ضروري لممارسة أنشطة اللاعنف. غير أن بعض النشطاء من بعده قد طوروا هذا الأسلوب ورأوا أن المشارب العقدية والفكرية قد تجتمع معاً، ولا يحتاج الفرد للانضمام إلى تنظيم أو حركة أيديولوجية بعينها، بل يكفي أن يكون هناك هدفاً مشتركاً بين النشطاء.

إن لدى التنظيمات الموجودة على ساحات التغيير ميزة وفرصة ذهبية لتبني أسلوب "مجموعات العمل". فلديها الأفراد الذين يجمعهم هدف واحد، وليس لديها مشكلة في تكوين المجموعات المتجانسة، وتلتقي المجموعات بشكل دوري عبر اجتمعاتها الرسمية. لكنها تتطلب فقط التدريب على اتخاذ القرارات، والثقة في النفس، وثقافة وأساليب العصيان المدني، بالإضافة إلى تشجيع المبادرات التي لا تخرج عن مبدأ "اللاعنف".

وبالنسبة للأفراد الذين لا يرغبون في الانضمام إلى حركات كبيرة، وتحركهم دوافع مشتركة للمساهمة في الحركة التغييرية، فإن تكوين مجموعات عمل عادة ما يتم بشكل طبيعي عبر العلاقات الاجتماعية (الأصدقاء - الجيران - زملاء العمل - الأقارب) لذلك يكون التقاؤهم طبيعياً وغير مفتعل.

وسواءً كانت مجموعات العمل ضمن حركات كبيرة، أو كانت مجموعات صغيرة منفردة فإنها تحتاج إلى إعدادات وتحضيرات قبل العمل، وأثناءه، وبعده.

ما التحضيرات اللازمة؟

١- تحضيرات إدارية:

- الاتفاق على اسم المجموعة وشعارها - إن كانت بحاجة لذلك.
- تحديد أسلوب إدارة المجموعة وكيفية تداول القيادة فيها، وتقنين آليات الاتصال بالقيادة العليا (في حالة أن المجموعة جزء من تنظيم). وتقنين آليات الاتصال بالمجموعات الأخرى - إن استدعى الأمر - في حالة المجموعات المنفردة.
- وضع القواعد العامة التي يجب أن تلتزم بها المجموعة، وتحديد آليات الانفصال وتكوين مجموعات أخرى.
- تقنين آليات فض النزاعات باستخدام الطرق والوسائل المختلفة التي تساعد على تعريف وتوصيف النزاعات وكيفية التوصل لحلول لها، مما يوفر الإحساس بالأمن لدى المجموعة، ودعم الشعور بالثقة المتبادلة وتقبل النقد وإسداؤه بطريقة بناءة.
- تحديد الآلية التي سيتم تدريب أعضاء المجموعة من خلالها على أعمال وثقافة العصيان المدني وأنشطة اللاعنف.

 تقوية تجانس المجموعة، فخلق تجمع مقاوم يتطلب تعارف الأفراد، وتطوير التعاون فيما بينهم عبر التقييم المتواصل لتجانس المجموعة وتعاونها.

إن مجموعة العمل تدرب على إقامة نموذج مصغر لمجتمع مقاوم حر في وحدة صغيرة تقوم بالتخطيط للنشاط وتطوير أساليب اللاعنف بما يناسب تقاليد وثقافة المجتمع.

٢- تحضيرات فكرية

 فلسفة وثقافة اللاعنف: ونشرها عبر المراجع المتخصصة مثل مراجع "جين شارب"، والسلسلة التي تصدرها أكاديمية التغيير وغيرها، ويتضمن ذلك الروايات والأدب والشعر والتجارب التاريخية والمعاصرة المقروءة والمسموعة والمرئية.[١] التعرف على الحقوق الدستورية، وواجبات وحقوق الأفراد في الدولة.

 تحليل الأوضاع: قد تتطرق المناقشات والتحليلات إلى موضوعات كثيرة، فيُمكنُ أَنْ تَكُون حول الوضع السياسي الحالي، الحالة العسكرية، أجهزة الإعلام، حركة المقاومة، الحركة البديلة بصفة عامة، الأحزاب السياسية، اللاعنف، العصيان المدني، الظلم، الهيمنة، الظلم في المجموعةِ، القانون المراد تعديله أو تغييره، كما تدرس نقاط القوة والضعف لدى النظام، واستراتيجيته في البقاء، ونقاط ضعف وقوة قوى التغيير، وما الذي ستضيفه المجموعة من قوة إلى باقي مجموعات وحركات التغيير، واحتياجات الشعب والقضايا المحركة له والتي يمكن أن تحشده لمناصرة الحركة التغييرية، والعوامل والظروف المساعدة التي يمكن أن تؤثر على مسار الصراع. والمزيد من الموضوعات الأخرى.

 قضايا فلسفية: مثل: أخلاقيات العصيان المدني[٢] وحركة اللاعنف، وما هو الحق الذي نملكه لخرق وكسر القانون؟ وكيف يمكن تفعيل الرمزية[٣] في العمل؟

 احتياجات المجموعة: بالحديث حول الخوف والمخاطرة، والأمن، والدعم والعزلة، والاعتقال والاحتجاز، والمحاكمات والعقوبات، وأمننا وأمن الآخرين، والعائلة والأصدقاء، وغيرها من المواضيع ذات الصلة بالعمل التغييري.

٣- تحضيرات للنشاط نفسه

 تحديد أهداف النشاط بدقة: (احتياجات الأفراد - احتياجات المجموعة - احتياجات المجتمع) ومناقشة رسالة النشاط، والدافع، والرمزية، والأولويات.

 تحديد بؤرة النشاط: والتركيز على الأشياء الأكثر أهمية، وتحديد أقوى الوسائل لتحقيقها بدلاً من استخدام مواردنا المحدودة في كل أنواع الأنشطة والقضايا. وهذا التركيز يساعد على الوضوح: هل رسالة النشاط مفهومة؟ وهل تمثل حافزاً للجماهير؟ وهل تصل إلى المستهدفين منها؟ وما أفضل الوسائل لإيصالها؟.

 تحديد وسائل الاتصال: لخلق حوار مع الخصم ومع بقية المجتمع؟ والتي تتضمن

الإعلام والمحاكمات والاتصال الشخصي مع العمال وصناع القرار، والخطابات والرسائل، والحلقات الدراسية والدورات التدريبية... الخ.

 بناء القدرة وتوزيع الأدوار: فقبل البدء في أي نشاط لابد من تقييم أو تقدير قدرة كل فرد على تنفيذه، وإعطائه الفرصة للتفكير و مراجعة تردده وتردد الآخرين في المشاركة، والتريث إذا وجد أنه من الأفضل لهم أن ينتظروا فترة قبل المشاركة في الأنشطة. وعلى كل فإن المجموعة تقيس قدرتها على الفعل فإن وُجدت أتمت نشاطها، وإن لم توجد سعت لبناء قدرتها وتطوير أفرادها وتدريبهم. ولا يجب قسر الأفراد على أدوار بعينها. بل يجب أن تختار كل مجموعة الدور الذي يتفق مع مواهبها ومهاراتها.

 عمل الأبحاث: للحصول عن المعلومات اللازمة وقد يتم ذلك عبر المؤسسات الحكومية أو الإنترنت أو دليل الهاتف، أو الزيارات الميدانية ومراقبة الأماكن المستهدفة ورسم خارطة للموقع ومدى بعد وقرب المكان من مقار الشرطة ومن الجماهير وذلك بحسب طبيعة النشاط.

 تبادل المعلومات: ويتم بين أفراد المجموعة عبر مختلف الوسائل ومنها الإنترنت والقوائم البريدية. كما يمكن الحصول على معلومات عن أي مؤسسة بإرسال السؤال لها عبر الإنترنت وانتظار الرد بعد أيام، ويمكن كذلك الاحتفاظ ببعض المعلومات الهامة والمتعلقة بالمجموعة على شبكة الإنترنت بسبل متعددة. كما يعد الإنترنت وسيلة هامة للاتصال بحركات العصيان في كل أنحاء العالم لتبادل الخبرات. كذلك يستخدم الهاتف (المحمول) في الاتصالات السريعة.

٤- تحضيرات نفسية

وتتركز عادة في كسر حاجز الخوف من عواقب العمل. وتأكيد عدالة القضية، وتعزيز الشعور بإمكانية الفعل. ويقول بير هيربجرين عن أحد الحركات المهتمة بنزع الأسلحة التدميرية:

"نحن نحاول نزع سلاح مخاوفنا الخاصة".

كما أننا نحاول أيضاً نزع سلاح جدران الحماية الأخرى التي بنيناها لنتجنب المخاطر الشخصية.

كما أننا نحاول نزع سلاح العنف والقمع والاضطهاد الذي قد يوجد داخل المجموعة نفسها.

وفي النهاية فنحن نحاول - من خلال أنشطتنا - نزع سلاح العنف والخوف والشك من المجتمع.

نحن نحاول التغلب على مخاوفنا لاكتساب الشجاعة لممارسة العصيان المدني، وحتى حينها يظل الخوف موجوداً. ونحن لا نقاوم الظلم والقمع والاضطهاد لكي

تختفي النزاعات ولكن حتى يمكن التعامل مع النزاعات من خلال العمل الحر".

أين يتم التحضير؟

وعادة ما يتم هذا الإعداد من خلال:

 الاجتماعات الرسمية للمجموعة والتي يكون لها جدول أعمال محدد في كل مرة.

 اللقاءات الاعتيادية (العمل - الجامعة - النادي - المطاعم - المكتبات العامة) حيث تستفيد المجموعة من أماكن الاجتماع الطبيعية في الحديث وعرض الأفكار المتعلقة بالعصيان. دون أن تشعر بغربة عن مجتمعها، أو تحوط نفسها بسياج من السرية.

متى يتم التحضير؟

 تحضيرات قبلية: وتكون قبل العمل لمناقشة الأفكار وتحديد الأنشطة وأفضل الأساليب وتوزيع الأدوار. فتجتمع المجموعة مثلاً لمدة ثلاثة أيام معاً لمدارسة المواضيع المطروحة. ولإنضاج الفكرة فإنه ينصح أن تمر بخمسة إلى عشرة لقاءات اعتيادية. ويجب عدم الوقوع في أسر الشلل التحليلي الذي يسرف في الدراسة النظرية بشكل يحول دون القيام بالعمل، حيث أن اكتساب الخبرة عن طريق الممارسة العملية مهم لنجاح العمل وتطوير التصور النظري.

 تحضيرات أثناء العمل: للمراجعة وتحديد ما إذا كانت هناك حاجة لأي نوع من أنواع التعديلات أو الدعم.

 تحضيرات بعدية: عادة ما تقوم المجموعة بعد انتهاء العمل بأخذ فترة راحة من الأنشطة المتتابعة لتقييم العمل وتحديد الإيجابيات والسلبيات والتفكير فيما ينبغي عمله، ومراجعة الحاجات الشخصية وحاجات المجموعة وحاجات المجتمع.

---

[١] الأفلام الخاصة بتجارب حركات اللاعنف متوفرة في أكاديمية التغيير.
[٢] للاطلاع على المقصود بأخلاقيات العصيان المدني ينصح الرجوع إلى الحلقة الثانية "الحوار لغة العصيان".
[٣] الرمز الذي يشير إلى الرسالة المقصودة من النشاط مثل الشعار والزي ...الخ.

المراجع

 Per Herngren, PATH OF RESISTANCE.. THE PRACTICE OF CIVIL DISOBEDIENCE, Revised edition ٢٠٠٤.

الحلقة الخامسة

الأنشطة والحوار

إن هدف النشاط هو خلق الحوار بيننا وبين أنفسنا، بيننا وبين الجماهير، بيننا وبين النظام. فالنشاط ليس هدفاً لذاته.

لقد ذكر منظر حركة اللاعنف "جين شارب" في السبعينيات ١٩٨ وسيلة من وسائل هذا الكفاح، والتي صنفها في ثلاث مجموعات رئيسية.

المجموعات الثلاث

١- أساليب الاحتجاج والإقناع باستخدام اللاعنف (مثل التظاهرات والمسيرات السلمية وتوزيع النشرات ووضع ألوان معينة...).

٢- أساليب اللاتعاون (وتعني رفض التعاون مثل الإضرابات والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمؤسسات الدولة...).

٣- أساليب التدخل اللاعنيف (تعطيل الأعمال الاعتيادية واحتلال المكاتب وإنشاء مؤسسات وحكومة موازية...).

وحيث أن موضوعنا هو العصيان المدني وهو جزء من منظومة حرب اللاعنف، ويتبلور في أدوات المجموعة الثانية "اللاتعاون" من أسلحة حرب اللاعنف، ويعمل عادة بموازاة الأنشطة الأخرى، فإننا سنتخذ من الحديث عنه ودراسته نافذة للإطلال على أنشطة حرب اللاعنف، وذلك لشحذ الأذهان بالعلم الذي يدفع إلى الابتكار والإبداع في مواجهة النظام الديكتاتوري.

النشاط الموجه بين التهيب والسلبية

إن التهيب من ممارسة العمل السياسي وانتظار الآخرين أن يقوموا به نيابة عنا نابع من عدم إدراكنا أننا نمارسه من خلال أعمالنا اليومية، كالذهاب إلى العمل والتعاون مع الزملاء وطاعة الرؤساء والذهاب إلى السوق... الخ.

ولهذه الأنشطة اليومية تبعات سياسية وإن لم ندرك نحن ذلك، وتقوم هذه الأنشطة السياسية بمد المجتمع بحركته الديناميكية والتي إن توقفنا عنها أصيب المجتمع بالشلل.

ويفترض أن تصب هذه الأعمال في اتجاه تطور ونماء المجتمع، وللأسف فإن عدم إدراكنا للطبيعة السياسية لأعمالنا اليومية، وعدم وضعها في إطار يهدف الى تنمية وتقدم المجتمع، قد يأتي بنتيجة عكسية سلبية الأثر على المجتمع من حيث لانشعر.

وتساعد ثقافة العصيان المدني في توعية المجتمع وأفراده بهذه الحقيقة، والمطلوب أن يضع الفرد نصب عينيه الهدف التطويري والتنموي من عمله اليومي، فإذا كانت نتيجة العمل سلبية أو هدامة وجب التوقف عنه، وبهذا يقوم الفرد بممارسة العصيان المدني بوعي وعلى بصيرة، ويستطيع أن يشرح ذلك للآخرين ويشجعهم عليه. ومثال ذلك ما لمسته حركة الشارع العربي في السنوات الأخيرة من مقاطعة البضائع والمنتجات الأمريكية حين رأى الناس أن في دعم تلك المنتجات إضراراً بمصالح المجتمع والمنطقة ككل.

النظام والمجتمع

ولأن للمجتمع نظام يحكمه نابع من تفويضه لأفراد يقومون على خدمته وتنظيمه فإن المراقبة الدائمة لأداء هذا النظام من أهم وظائف المجتمع، وحين تكون إدارة

النظام الحاكم للمجتمع سلبية ومدمرة؛ فان استمرار الأفراد على نفس وتيرة أعمالهم اليومية يعني الاستسلام والمشاركة الفاعلة في بقاء النظام الفاسد.

فجميعنا إذاً مسئولون عن ديمومة الظلم وتخلف المجتمع بتفاوت حجم المسئولية من شخص لآخر، غير أن كل شخص مسئول عن مدى استهانته بأهمية نشاطه اليومي في المجتمع، ومايمكن أن ينتج عن ذلك من إذعان وطاعة للحكام، فمن خلال صمتنا وخدمتنا للنظام - فاسداً كان أم صالحاً - عبر أعمالنا اليومية فإننا نشارك في دعمه وتثبيت أركانه. وبإدراك هذه الحقيقة يمكن للفرد أن يستخدم نشاطه اليومي ويوجهه وجهة إيجابية للتخلص من الفقر والتخلف والذين هما وجه العملة الآخر للظلم والاستبداد.

النشاط الموجه... لمن؟

بإدراك المعنى السابق يمكن أن نحدد الأطراف المستهدفة بأنشطتنا، وسيجد الدارس أن هذه الأطراف هي:

١- النفس.

٢- المجتمع.

٣- النظام.

١- النشاط الموجه للنفس

 هزيمة اليأس الذي يؤدي إلى العنف أو الاستسلام (وجهين لعملة واحدة) وكلاهما قد يؤدي إلى المشاركة الفاعلة في إبقاء الظلم. فالنظام الدكتاتوري يعمل على دفع الناس إلى اليأس فإن أدى ذلك بالناس إلى السلبية - وهو مايريده النظام ويسعى إليه - ازداد النظام في جبروته، وإن أدى اليأس إلى العنف ازداد الظالم في قمعه واتخذ من العنف ذريعة للقمع والبطش.

 تجنب الانفصام الشخصي بين الفرد ككائن منفرد وبين المجتمع ككائن آخر، فمصلحة الفرد من مصلحة المجتمع والعكس بالعكس، وإن كل حركة يقوم بها الفرد تأتي بنتيجة سلبية أو إيجابية على المجتمع.

 كسر حاجز الخوف من عواقب النشاط والتي تتمثل في العقوبات التي تنال الفرد. ويلاحظ أن الناشط عادة مايكون متهيباً من أي نشاط جديد في البداية، لكنه لا يلبث أن يعتاده ويراه عملاً طبيعياً. لذلك فاندماجنا في أنشطة العصيان كفيل بكسر حاجز الخوف والأوهام التي بداخلنا.

إن المفتاح هو الفرد وإدراكه لقيمة العمل الذي يؤديه بشكل اعتيادي يومي في المجتمع وأن هذا العمل إما أن يكون مقوضاً أو داعماً لشرعية النظام وبقائه.

٢- النشاط الموجه للمجتمع وشرائحه

ويوجه الحوار (النشاط) إلى أربعة أصناف رئيسية:

- الذين يطيعون الحكام (مثل الذين يدفعون الضرائب) وقد نكون من هؤلاء ونحن لا ندري... فندعو للعصيان المدني ونحن أحد عقبات نجاحه.
- العمال والموظفون المشاركون في النشاط الذي نعارضه (مثل القائمين على جمع الضرائب).
- رؤساء الأعمال في المواقع المستهدفة وصناع القرار.
- كل من له سيطرة في عمله وهؤلاء قد يكونون (الأقرباء - الزملاء - الشرطة - القضاة) بالإضافة إلى أنفسنا عندما نكره أن نسبب مشاكل في أعمالنا جراء العصيان.

والأنشطة لا تستهدف هؤلاء الأربعة في نفس الوقت، فقد يستهدف النشاط مرة خلق حوار مع دافع الضرائب، ومرة أخرى مع القانونيين، ومرة يستهدف خلق حوار مع الشرطة لتحييدها وهكذا... وخلاصة القول أننا في كل نشاط نسعى إلى خلق حوار، لتزداد قوافل المقاومين، ولتقويض قوة النظام في نفس الوقت.

٣- النشاط الموجه للنظام وأدواته

وهنا لابد من التركيز على أن النشاط يهدف إلى فتح حوار مع الخصم وإقناعه بضرورة الاستجابة لمطالب المجتمع لا السيطرة عليه وقمعه، وأن الحاكم خادم للمجتمع يقوم بتنفيذ إرادته لا العمل على استعباده، فاذا اقتنع النظام بذلك تحاور معه ممثلو المجتمع من أحزاب وجماعات ضغط للحصول على مكاسب حقيقية للمجتمع وليس للحركة أو الحزب، وإن امتنع عن الحوار أو رفض المطالب الشعبية استعرض المجتمع قوته الحقيقية ونشاطه الذي لايوقفه فرد أو مجموعة أفراد في سدة الحكم.

لقد بينا في أكثر من موضع في سلسلة الحلقات أن العصيان المدني بالأساس يهدف إلى خلق حوار بيننا وبين أنفسنا، بيننا وبين الجماهير، بيننا وبين النظام. فالنشاط ليس هدفاً لذاته. لذلك يجب أولاً أن نحدد مع من سنتحاور، وعندئذ نستطيع أن نحدد لمن يوجه الفعل؟ وماهو الفعل؟

نماذج للأنشطة

هذه نماذج نذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

١- دعم وإيواء النشطاء المطلوبين للنظام.

٢- نزع هيبة وشرعية النظام.

٣- الأعمال الاستباقية.

٤- الاعتراض الضميري ولبس الأحذية الخشبية.

٥- الاعتراض الضميري على الخدمة العسكرية الإجبارية.

٦- احتلال المكاتب.

٧- التخييم بجوار مكان مستهدف.
٨- إقامة العوائق واعتراض الحافلات.
٩- إيقاف فاعلية الأسلحة المستخدمة ضد أنشطة الحركة.
١٠- حملات المقاومة المتلاحقة.
١١- الاعتقال.
١٢- التحقيق.
١٣- المحاكمة.
١٤- السجن.
١٥- الاتصال.
١٦- الإعلام الجماهيري.

المراجع

 Per Herngren, PATH OF RESISTANCE.. THE PRACTICE OF CIVIL DISOBEDIENCE, Revised edition ٢٠٠٤.

 Gene Sharp, The Politics of non-violent action. Boston: Porter sargent, ١٩٧٣. Volume No:٢

الحلقة السادسة

حملات المقاومة

"إن إدارة حملات المقاومة ينبغي أن ينتج عن رؤية كلية لخارطة الصراع". أكاديمية التغيير

أولاً: تعريف الحملات

تتكون حملات المقاومة من سلسلة من الأنشطة الهادفة إلى تحريك المجتمع نحو الإيجابية ونبذ السلبية و توجيه الرأي العام لاتخاذ موقف بناء إزاء قضية، و الضغط على النظام ليتخذ موقفاً استجابة للإرادة الشعبية.

ثانياً: أنواع الحملات

 الحملة الجزئية: وتكون غالباً في المراحل الأولية في حياة المقاومة وتستهدف قضية من القضايا التي تهم المجتمع مثل قضية البطالة، أو الاعتراض على قانون جائر مثلاً، وتتدرب المقاومة خلال هذه المرحلة على ممارسة العمل، وإحسان الفعل، وإتقان التخطيط والتحليل، وبناء التضامن المطلوب بين فصائل المقاومة وشرائح المجتمع، حتى تحين ساعة التغيير الشامل المنشود.

 الحملة الشاملة: وحين تنجح المقاومة في حشد وتفعيل طاقات المجتمع بكامله، ليصبح مستعداً لحمل رسالته، والدفاع عن إرادته، تأتي مرحلة التخلص من الدكتاتورية وبناء المجتمع السياسي المدني كحلقة طبيعية في سلسلة البناء.

ثالثاً: أهداف الحملات

إن إدارة حملات المقاومة ينبغي أن تنبع من رؤية كلية لخارطة الصراع... وبذلك يمكن النظر إلى أهداف الحملة كالتالي:

- **الهدف الأساسي:** إن هدف الحملة الأساسي والنهائي هو تحويل ميزان القوة وتحريرها من يد الأقلية الدكتاتورية الحاكمة إلى يد الأغلبية المحكومة.
- **الأهداف المرحلية:** أما الأهداف المرحلية أو الفرعية فيمكن تحقيقها عبر نشاط أو عدة أنشطة فرعية. حيث تتمكن من إنجاز هدف واحد أو عدد من الأهداف بحسب نوع النشاط ومناسبته للمرحلة التي تمر بها حركة المقاومة.

ونذكر من هذه الأهداف على سبيل المثال لا الحصر:

١- بناء قدرة المجتمع على الفعل عبر استخدام النشاط كوسيلة للاحتكاك بالجمهور وإدارة حوار معه لإقناعه بضرورة مشاركته في الصراع لبناء المجتمع المدني.

٢- البحث عن الشرائح المختلفة في المجتمع والمفاتيح أو القضايا التي تهمها وتُكوِّن لديها الاستعداد لخوض الصراع من أجلها. وهنا قد تتناول الحملة قضية اجتماعية لتصل بها إلى الأحياء الشعبية مثلاً، ويكون شعار الحملة ملامساً لآلام وآمال الجماهير بهدف تحريك فئات وشرائح المجتمع نحو المشاركة الفعالة في الصراع المدني.

٣- تقويض قوة النظام باستهداف مفصل من مفاصل قوته مثل نزع الشرعية عنه، أو إقناع أدوات القمع التي يستخدمها مثل الشرطة والأمن المركزي والجيش بأنهم يحمون نظاماً لن يكتب له البقاء. إن حركة المقاومة تتزايد وستضم أبناءهم، وإن مكانهم الطبيعي مع أبنائهم والجماهير وليس ضدهم. هذا إقناع لا يتم عبر الكلام فحسب، بل يتم عبرٍ الأنشطة التي تلامس همومهم وتلبي احتياجاتهم، ويزداد المشاركون فيها يوماً بعد يوم.

رابعاً: عوامل نجاح الحملات

هناك عدة عوامل تؤدي إلى نجاح الحملات نذكر منها:

التخطيط والتقويم

يجب أن توضع الحملات ضمن خطة كلية ولا تصبح عملاً ارتجالياً يتساءل بعده المشاركون... إلى أين؟؟!!... وبعد انتهاء الحملة يجب تقويمها ومعرفة مدى نجاحها في تحقيق أهداف المرحلة والاستفادة من التجربة وعدم تكرار الأخطاء.

التدريب

يجب أن ُتستخدم الحملات كوسيلة لتدريب الجمهور على أعمال اللاعنف، وعلى تأكيد رفض العنف كأسلوب للتغيير، ورفض إرهاب النظام وسرقته لإرادة الشعب، بأسلوب متحضر معتمد على سياسة حرب اللاعنف. حيث (تصمم الأعمال

الأولى في حملة تقويض النظام الدكتاتوري لمحاورة الرأي العام واختباره ومحاولة التأثير عليه ولتحضير المواطنين لنضال مستمر من خلال اللاتعاون والتحدي السياسي).[١]

التدرج وعدمِ الاستعجال

ينبغي بدايةً القيام بحملات جزئية تهدف إلى خلق حوار مع الجمهور لنقله من مقعد المتفرج إلى الفاعل، وتدريبه بحيث يكون مستعداً لحملة شاملة حاسمة، إذ أنه (من الصعب تفكيك مصادر قوة نظام الحكم الدكتاتوري بشكل كامل وسريع في المراحل الأولى من النضال، لأن هذا يتطلب أن يقوم المجتمع ومؤسساته - والتي كانت تعاني في الماضي من السلبية - برفض تام وتحدي مفاجئ للنظام عن طريق استخدام اللاتعاون الجماهيري الواسع. لذلك فإنِ محاولة القيام بحملة سريعة من اللاتعاون الكامل أو التحدي الشامل يعد نوعاً من الإستراتيجية غير الواقعية لحملة مقاومة في مراحلها الأولية).[٢]

الرمزية

وللرمزية ثلاث معان يجدر بنا أن نشير إليها:

الأول: الرمزية في شكل العمل: مثل عمل عزاء أو لبس السواد اعتراضاً على قضية ما.

الثاني: الرمزية في مدة العمل: أن يكون العمل رمزياً أي لفترة محددة ومؤقتة. مثل الفارق بين الاعتصام أو الصيام عن الطعام لفترة محددة بدلاً من الإضراب عن الطعام، إذ يعطي الأول رسالة مفعمة بالأمل أن السلطات سوف تستجيب، والثاني محمل باليأس أنه لا فائدة وأننا سننتهي إلى المعاناة الشديدة أو الموت بسبب النشاط.

وعن المعنيين السابقين يقول جين شارب: (تأخذ الأعمال الأولى من اللاتعاون والتحدي السياسي شكل أعمال أو احتجاجات رمزية من اللاتعاون المحدود أو المؤقت).[٣]

الثالث: الرمزية في أسلوب العمل: إيصال رسالة ضمنية لتحريك الجماهير، على سبيل المثال: إن انتزاع الحرية لن يتم بتفويض قلة من أبناء المجتمع تقوم بالنضال نيابة عنه، وإن العمل الذي يحتاج جهود معظم فئات المجتمع لا يمكن أن يتم بإلقاء مسئوليته على عاتق القلة. وهنا يكون هدف النشاط إعلام الأغلبية السلبية من الجمهور بأن اللاتعاون ممكن إذ قمنا به نحن الأقلية الإيجابية، وإن مشاركة الأغلبية ضروري لكي يؤتي العمل ثماره المطلوبة. فإذا استهدفت المقاومة إطلاق سراح المعتقلين السياسيين مثلاً وكان عددهم خمسة أفراد، فإن الاكتفاء بتحرير نصفهم يعطي هذه الرسالة: أن الاستجابة لمطلب إطلاق سراح المظلومين ممكن، وأنه لو تضافرت جهود أكبر فسنتمكن من منع النظام من استخدام أداة الاعتقال للضغط على حركة المقاومة.

وهنا تجدر الإشارة بأن الأعمال الرمزية لا تهدف إلى القضاء على الأنظمة الدكتاتورية، حيث أنها غير موجهة في هذه المرحلة إلى النظام، ولكنها موجهة إلى الجمهور لبناء قدرته على الفعل.

الفاعلية وتتابع الأنشطة

تعتمد فاعلية الحملة على تواصل أنشطتها وتتابعها، وليس عدد الأنشطة أو الأعمال في الحملة هو الذي يحدد مدى قوتها، بل إن إدراك طبيعة المرحلة التي تمر بها الحركة التغييرية هو الذي يملي نوعية النشاط المطلوب، فالأنشطة التي تتم في مرحلة بناء القدرة تختلف في فاعليتها وما هو مستهدف منها عن الأنشطة التي تتم في المراحل النهائية.

ويعد تفعيل شرائح الأطفال والنساء من الوسائل الناجحة لتبليغ رسالة النشاط المتحضر واللاعنيف ووضع النظام الديكتاتوري في مأزق (خانة اليك). هل تبطش بالأطفال والنساء أم تترك النشاط ينمو؟! بالإضافة إلى تحريك المجتمع نحو الإيجابية إذ قد تحرك الأطفال - بدلاً من استمتاعهم بطفولتهم - فما بال الكبار وهم أولى بالتحرك لمناصرة قضاياهم وأطفالهم، وقد يتحرك أطفال وأبناء المسؤولين والموظفين في أجهزة القمع الشعبي مما يقنع أفراد هذه الأجهزة بأن مكانهم مع أطفالهم في الشعب وليس ضدهم.

التصعيد

إن الحملات يجب أن تبدأ تدريجياً في اتجاه التصعيد كما يرى غاندي، فلا تفقد فاعليتها. أما إذا بدأت بشكل قوي ثم ضعفت فهذا أمر خطير ينذر بفشل الحملة، وهو ما يحدث عندما تلجأ المعارضة لحملات قوية ثم تضعف ويبدو للناظر من بعيد أنها تلاشت.

ورغم أن التأثير السياسي للحملة قد يكون هو الأسرع، إلا أن تغيير سلوك الناس من الطاعة والإذعان إلى مقاومة الظلم والقمع هو الأهم.

الاستمرارية والانقطاع

(تقع وطأة النضال على قطاع أو أكثر من المواطنين خلال تنفيذ حملات المقاومة، ثم يتحول عبء النضال إلى مجموعات أخرى في مراحل لاحقة، بحيث تحصل أقسام من المواطنين على فرصة للاستراحة والتقاط الأنفاس بينما تستمر المقاومة بجهد قطاعات أخرى، فمثلاً يقوم الطلاب بتنفيذ إضرابات احتجاجاً على قضايا تعليمية، ثم يقوم القادة الدينيون والمؤمنون بالتركيز على قضايا الحريات الدينية، ثم يقوم عمال سكك الحديد بإبطاء حركة القطارات، ويقوم سائقوا التاكسي والحافلات بإبطاء حركة المواصلات وسيارات البوليس والأمن المركزي، ثم يقوم الصحفيون بتحدي الرقابة من خلال نشر المقالات الممنوعة، وتقوم الشرطة بتقديم تقارير حول

فشلها في إيجاد واعتقال أشخاص مطلوبين من أعضاء المعارضة. إنه تقسيم مدروس لحملات المقاومة حسب نوع القضية المطروحة وحسب مجموعات السكان).
[٤] إن ذلك يتيح استمرارية الحملة دون أن يرهق كل فئات وشرائح المجتمع في نفس الوقت.

التركيز على فاعلية الحملة

تعتمد فاعلية النشاط على قدرته على خلق حوار مع الجمهور ومع النظام، وإلا لن تتجاوز الحملة أن تكون دعاية وضجة إعلامية، لا يلبث الناس أن يعودوا بعدها إلى منازلهم، ولما يتغلبوا على عقد الخوف والإذعان والسلبية بعد، لذلك فإن إبقاء الحوار مستمراً والاتصال بالجمهور شرط أساسي لنجاح الحملة.
ويتم الحوار قبل وأثناء وبعد الحملة، فقبل الحملة يتم الدعوة إليها وإقناع الجمهور بالمشاركة، وبعد الحملة يتم الحديث عنها وشرح الفائدة منها عبر كل الوسائل الممكنة، أما أثناء الحملة فيجب أن تنمى الاتصالات الشخصية، وتبنى العلاقات الاجتماعية، ويهتم بالصداقات.

التعاون وتقدير الجهود المختلفة

إن نجاح الحملات في تحقيق الأهداف المرجوة يستدعي عدم تحقير أحد الأدوار التي تقوم بها أحد المجموعات، أو تصور أحد جماعات المقاومة بأنها قادرة على التغيير بدون التعاون مع الحركات الأخرى، أو بدون تفعيل المجتمع ككل، أو أن المكاسب التي حققتها أعظم من أن يتم التفريط فيها فتتخلى عن الرؤية النهائية أوعن شركائها في حركة المقاومة، وكلها نقاط سيحاول النظام في أحد جولات الصراع من استخدامها والتلاعب بها.
وفي النهاية - إن أحسنت المقاومة التخطيط والتنفيذ والتعاون - ستتفاعل الحركات ومجموعات العمل المختلفة تفاعلاً حيويا وفعالاً حتى يكاد أصحاب المقاومة لايصدقون أنهم تمكنوا من إقامة هذا البناء.

---

[١] جين شارب: التحول من الدكتاتورية إلى الديمقراطية. منقول بتصرف
[٢] جين شارب: التحول من الدكتاتورية إلى الديمقراطية. منقول بتصرف.
[٣] جين شارب: التحول من الدكتاتورية إلى الديمقراطية. منقول بتصرف.
[٤] جين شارب: التحول من الدكتاتورية إلى الديمقراطية. منقول بتصرف.

المراجع

 Per Herngren, PATH OF RESISTANCE.. THE PRACTICE OF CIVIL DISOBEDIENCE, Revised edition ٢٠٠٤.

جين شارب، التحول من الديكتاتورية إلى الديمقراطية.

الحلقة السابعة

حملة مواجهة القمع

"لابد من إقناع النظام والمجتمع بأن تكلفة القمع أعلى بكثير من المكاسب الناتجة عن استخدامه" أكاديمية التغيير

أولاً: الصراع السياسي وحملة مواجهة القمع

ينشأ الصراع السياسي نتيجة لوجود اختلاف في المصالح أو الرؤى بين أطراف المجتمع المختلفة.

ويمكن تقسيم هذا الصراع إلى نوعين:

صراع منخفض الحدة (تنافسي): حيث يُحسَم الصراع من خلال التنافس بين الأطراف المختلفة عبر آليات الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة كما يحدث في الدول الديمقراطية.

صراع مرتفع الحدة (صفري): حيث يُحسَم الصراع من خلال التدافع بين الحركات الوطنية والأنظمة الحاكمة، وهو مايحدث في الدول الدكتاتورية، وغالباً ما ينتهي بالقضاء على أحد الطرفين، ويحتاج فيه النظام الدكتاتوري إلى القمع لضمان استمرار سيطرته.

ثانياً: حقيقة القمع في الصراع السياسي الصفري

إن الصراع السياسي الصفري لابد وأن يمر في أحد أطواره بمرحلة القمع، والذي لايجد النظام بداً من اللجوء إليه لاجبار المجتمع على القبول ببقائه وشرعيته.

وفي مرحلة القمع يحتاج النظام في صراعه مع القوى الوطنية - والذي من المفترض أن يكون صراعاً مدنياً دستورياً - إلى المبررات التي تسوغ لجوءه للقوة لإقناع المجتمع الدولي والمواطنين، وهذه المبررات تنقسم إلى نوعين:

١. مبرر أو غطاء أخلاقي، وهي ضرورة إنسانية (ضرورة ضميرية): مثل التبرير بحماية الشباب من التغرير بهم وغسل عقولهم وحماية المجتمع من الحركات المشبوهة التي تستعين بالجهات الخارجية وبالتمويل الأجنبي لتدمير المجتمع وإضعافه.

٢. مسوغات قانونية أو غطاء عقلي، وهي ضرورة للتقبل العقلي (ضرورة عقلية): من قبيل مخالفة القوانين والاعتداء على الممتلكات العامة وتعطيل مصالح الجماهير والانتماء لتنظيمات محظورة.

وبالمقابل تسعى الأطراف المقاومة إلى تفنيد مزاعم النظام الأخلاقية والقانونية، وتبيان عدالة ونبل القضية التي تدافع عنها، والتصريح بأنه ليس من حق النظام غير الشرعي استخدام العنف ضد المجتمع، بدلاً من الدخول في صراع سياسي مدني ومتحضر.

وانطلاقاً من فهم المجتمع ونشطاء المقاومة لحقيقة القمع تبدأ حملة المقاومة للنظام المعتدي لتحويل أداة القمع لصالح المجتمع، وذلك عن طريق إدراك الأهداف والاستراتيجية وتطبيق الوسائل والتدريبات المناسبة لمواجهة وسيلة القمع هذه، والتعامل معها على أنها فعل سياسي بحت بغض النظر عن المبررات القانونية والأخلاقية التي يختلقها النظام.

ثالثاً: من أهداف الحملة

تختلف أهداف الحملة باختلاف مرحلة الصراع، ففي المرحلة الأولى للمقاومة وهي مرحلة بناء القدرة، تكمن أهداف حملة مواجهة القمع في الهدفين التاليين:

١. الحد من فاعلية أداة القمع وتحويلها إلى نقطة قوة للحركة التغييرية ونقطة ضعف للنظام (تجريد النظام من أحد أدوات قوته والمتمثلة في القمع).

٢. تدريب النشطاء على كيفية التعامل مع أسلوب القمع.

وتحقيق هذه الأهداف يتطلب من الحركة التغييرية أن تتبنى نظرة استراتيجية إيجابية.

رابعاً: استراتيجية جديدة

ولتوضيح المقصود من استراتيجية جديدة أو إيجابية دعنا نتأمل هذا المثال:

لو اضطر لاعب الدفاع لعرقلة مهاجم الفريق المضاد داخل منطقة الجزاء، كيف ينظر كلا الفريقين لهذه الحركة؟

الفريق المدافع:

١- الفريق المدافع اضطر إليها كمحاولة ربما يائسة لمنع تسديد الهدف.

٢- هناك نتيجة إيجابية ترتبت على هذا التصرف، ألا وهي تأخير الهدف وليس منعه، أو بمعنى أدق أخر هذا التصرف مرتبة الفريق المهاجم من الفوز الأكيد إلى مرتبة احتمال الفوز.

٣- وهناك نتائج سلبية قد تترتب على هذا التصرف، مثل أن الهدف سيسجل حتماً لو أحسن الفريق المهاجم استثمار الفرصة، أو احتمال طرد لاعب الدفاع المعتدي، وحرمانه من المباراة القادمة أو على الأقل حصوله على الكارت الأصفر.

٤- قد لايحسن الفريق المهاجم استغلال الفرصة فيهدر التسديدة، وعندها تصبح مخاطرة لاعب الدفاع مقبولة.

الفريق المهاجم:

١- على الفريق المهاجم ضمان تسديد الهدف عن طريق اختيار أفضل لاعب تم تدريبه على تسديد ضربات الجزاء، ووضع أي أنانيات أو مصالح شخصية أو خلافه بعيداً من أجل مصلحة الفريق.

المدافع واضطراره أن يلعب بفريق أقل عدداً، أو الفوز الكامل بالمباراة عن طريق

حجب الأهلية عن الفريق المدافع وإخراجه من الدورة كلياً إذا قام بالتصعيد ولم ينصاع لأمر الحكم.

٣- أسوأ احتمالات الفريق المهاجم أن يضيع كل هذه الفرص بسبب جهل أو أنانية أو ...

وهكذا فإن المطلوب من الحركة التغييرية إمعان النظر والتفكير في كيفية استثمار الأعمال القمعية لتحويلها إلى أداة فعالة في يد المقاومة والمجتمع في صراعه ضد الديكتاتور.

خامساً: متطلبات الاستراتيجية

١. التفكير العميق في كيفية تحويل تلك الإجراءات القمعية التي يلجأ إليها النظام من نقطة قوة يضبط من خلالها المعترضين إلى نقطة ضعف تمثل هاجساً مزعجاً له، وكيف يتحول القمع إلى أداة فعالة في يد الحركة التغييرية بحيث يتحول اعتقال أحد النشطاء مثلاً إلى مكسب للحركة وخسارة تخصم من رصيد النظام، ويعتمد حجم المكاسب على دهاء الفريق الإداري وإمكانياته في استثمار الأحداث.

٢. تحتاج مجموعات العمل إلى تدريب دقيق للتعامل مع أداة القمع، فبإمكان نشطاء الحركة التغييرية - إذا كانوا مُعَدِّين ومُدربين - أن يُحدثوا تأثيراً كبيراً من خلال تنسيق استراتيجيتهم في طريقة التعامل مع وسائل القمع مثل الضرب والحصار والاعتقالات والسجون والمحاكمات والدعاوى القضائية، وبتأثير لا يقل فاعلية عن الأنشطة التي أدت إلى اعتقالهم، وهو جزء لايتجزأ عن أنشطة المقاومة اللاعنيفة.

إن الدور المنوط بالحركة التغييرية هو إقناع النظام والمجتمع بأن تكلفة القمع أعلى بكثير من المكاسب الناتجة عن استخدامه.

مثال

قد يقوم النظام باعتقال أحد رموز الحركة التغييرية.

مكاسب الدولة: تحجيم نشاط هذا الفرد، وتوصيل رسالة إلى الحركة، وقياس رد فعلها، ومدى تضامنها في حالة استهداف أفراد من الطرف أو من القيادة...

خسائر الدولة: تظاهرات مستمرة، حملة إعلامية شرسة، ضغوط خارجية، أصبح الفرد المراد تحجيمه رمزاً محلياً وعالمياً...

وهكذا فإن تكلفة القمع (الخسائر) أصبحت أعلى بكثير من المكاسب، وبالتالي لن يقدم النظام على مثل هذا العمل بسهولة، وبالتالي يضطر إلى البحث عن أدوات أخرى للصراع السياسي.

٣. العمل على توفير مساحة كبيرة من الحرية في تعامل النشطاء ومجموعات العمل مع الأحداث وتشجيع الإبداع، من خلال إمداد النشطاء بورقة استراتيجية

توضح الخطوط والمبادئ الكبرى (تتناول أسس ومبادئ أسلوب اللاعنف وتوفر رؤية شاملة لخارطة الصراع وتحدد الاتجاهات الداعمة لنشاطات المقاومة وتبين نوعية التصرفات التي تضر بالعمل) ثم اعتماد اللامركزية ومجموعات العمل.

سادساً: من وسائل تحقيق الاستراتيجية

ونقدم هنا بعض الأمثلة على الوسائل التي يمكن أن تستخدم لتحقيق الاستراتيجية الجديدة، وهذه الأمثلة مذكورة على سبيل المثال لا الحصر، وإن المواهب والأفكار المختزنة في عقول أفراد المجتمع يمكنها أن تصل بأعمال المقاومة إلى المدى الذي يذهل النظام والحركات التغييرية نفسها:

١. تحييد رجال الشرطة عبر مسارين:

الأول: استثمار الاعتقال والتحقيق في بناء حوار مع رجال الشرطة، ورغم صعوبة هذا الأمر إلا أنه مهم جداً، وليس بالضرورة أن يكون هذا الحوار عن طريق الكلام والإقناع - إذ قد يتعذر بناء حوار منطقي مع رجال الشرطة خلال التحقيق - ولكن يمكن الاستعاضة عن ذلك بأن يعطى جميع المشاركين في المظاهرة مثلاً بعض الأوراق القليلة الموثقة التي تحوي أرقاماً ومعلومات موثقة حول موضوع المظاهرة (الفقر - البطالة - الفساد -...)، وما على المحتجز سوى إعطاء هذه الأوراق للمحققين كمبرر على مشاركته في المظاهرة.

ومع تكرار المحاولة يبدأ الحوار النفسي داخل ضمير رجل الشرطة (موظف النظام/ عبد المأمور) حول شرعية النظام وشرعية قمع الشعب من أجله.

والثاني: عبر الملاحقة القانونية للمسئولين عن حالات الاعتقالات والتعذيب والقتل عبر اللجوء إلى القضاء المدني، والملاحقة الإعلامية عبرنشر صورهم وأسمائهم لتصبح وصمة عار وفضيحة لهم أمام أهليهم وأقربائهم وجيرانهم، والملاحقة المهنية عبر المطالبة بعزلهم عن مواقعهم ومناصبهم.

٢. استثمار كل حالة اعتقال وتضخيمها إعلامياً وتحويل المعتقل إلى رمز: وذلك عبر توثيق حالات الاعتقال والقمع والضرب - بالصور إن أمكن - وبثها عبر الفضائيات ووسائل الاتصال المختلفة (الانترنت والهاتف الخلوي) ومناقشتها على صفحات الجرائد والمجلات وتحويلها إلى قضية محلية ودولية، ورفض ممارسة العملية السياسية (انتخابات - مفاوضات -...)، وحشد الأعداد الغفيرة بسرعة وكفاءة عالية أمام الأماكن التي يحتجز وينقل إليها النشطاء والتهديد بالتصعيد حتى يتم الإفراج عن المعتقل.

٣. حشد مصادر القوة الداخلية: عبر الاتصال باللجان الحقوقية والديمقراطية ولجان الحريات والنقابات ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة ومحاولة جعلها أداة ضغط على النظام.

٤. حشد مصادر القوة الخارجية: عبر الاتصال بالهيئات الدولية والحقوقية العالمية لممارسة الضغط على النظام للإفراج عن المعتقلين وللتوقف عن منع الجماهير من الإعلان عن مطالبها سلمياً.

٥. تضامن نشطاء الحركة التغييرية: والتضامن في حقيقته حالة عقلية وروحية توحد بين الأفراد في كفاحهم الطويل أكثر منه تدريب خاص يكلف الأفراد باتباعه وتطبيقه. والتضامن لا يعني خياراً واحداً يطبقه جميع الأفراد في جميع المواقف، بل هو قوة داخلية موجودة لدى كل فرد ومختزنة داخل كل مجموعة، إنه التزام نابع من كل فرد تجاه الآخرين وتجاه القضية المشتركة، إنه تفضيل الصالح العام على المصالح الشخصية. إنه رفض للأنانية التي تعود عليها الأفراد والتنظيمات والجماعات. إنه تكريس كل فرد لوقته وجهده لدعم الوطن وللمضي في العمل على رفعته في كل الأوقات، وفي جميع المواقف. ولا يستطيع كائناً من كان - محاكمات أوسجون أوقوى خارجية أو نظام معتدي - أن يكسر هذا التضامن.

أنواع التضامن

التضامن المعنوي: تجمع المتظاهرين حول مقار الشرطة وأقسام البوليس ومراكز الاعتقال، وتجمع النساء حول أماكن احتجاز أبنائهن وأزواجهن وآبائهن، ووضع الزهور على أسوار وأبواب السجون، رفض المعتقلين لقرارات الإفراج في حال استمرار اعتقال بعض زملائهم.

التضامن المالي: مساعدة عائلات المحتجزين، وتوفير الكفالات المالية لخروج المسجونين.

٦. تقويض شرعية القمع: عبر استخدام استراتيجية عدم التعاون.

استراتيجية عدم التعاون

لقد اكتسبت الاعتقالات والمداهمات والتعذيب شرعية - لا مكتوبة - لكثرة وطول استخدامها. وبالتالي فغالباً ما يدرب النشطاء على كيفية التعامل مع القمع لا على كيفية تقويضه ورفضه عبر استخدام استراتيجية عدم التعاون وأساليب اللاعنف.

فبعض النشطاء يرفضون التعاون - جزئياً أو كلياً - مع إجراءات التحقيق والمحاكمة، فيرفضون تقديم الالتماسات أو توكيل أو القبول بالمحامين، أو الوقوف في المحكمة أو التحدث إلى القاضي كونه يمثل رمز سلطة المحكمة، أو اتخاذ موقف أو سؤال الشاهد، ولكنه قد يلقي خطبة على الجموع الذين تجمعوا في مقر المحاكمة، أو ينام أو يجلس على الأرض إذا أريد حمله، أو يحاول المغادرة إذا لم يمنع بالقوة.

وقد تكون العقوبات المترتبة على عدم التعاون صارمة، لأن بعض المحققين أو القضاة يأخذون هذه التصرفات على محمل الإهانة الشخصية أو الإهانة لقدسية

التحقيق أو المحاكمة، ولكن من ناحية أخرى يغفل بعض المحققون أو القضاة هذه السلوكيات بل وربما يحاولون الاتصال بالمتظاهرين.

كما يمكن تطبيق عدم التعاون الجسدي خلال عمليات ووقت الاحتجاز، وهذا يتضمن رفض المشي والأكل والنظافة الشخصية أو نظافة المكان المحيط، وهذا قد يؤدي إلى محاولة مسئولي السجن إجبار النشط السياسي السجين على الأكل ووضع حفاظات له.

ويعد الصيام من أحد أشكال اللاتعاون، ويقصد به الامتناع عن الطعام والسوائل ما عدا الماء، وبينما يمثل الامتناع عن الغذاء إزعاجاً لسلطات السجن كونه يمثل خطورة على حياة السجين، فإن الامتناع عن الغذاء والسوائل كلياً وحتى الماء أشد خطورة، حيث أن السجين لن يعيش لفترة تتجاوز الخمس أو الست أيام، ولذلك فإن السلطات تراقب الأشخاص الذين يهددون ويلوحون باستخدام "صيام الماء" فيدخلونهم المستشفيات حرصاً على حياتهم، ولكن يجب على المتظاهر ألا يعتمد على هذه الوسيلة لجذب الانتباه، بل يجب أن يكون قادراً على وقف الصيام أو أن يكون عازماً على الاستمرار حتى الموت، كما فعل مقاتلو الحرية في أيرلندا في عام ١٩٨١م.

وعدم التعاون قد يأخذ أشكالاً أخرى وينتج عن أسباب أخرى، فرفض الفرد أن يعطي اسمه لا شك أنه ينبع من رغبته وتصميمه على المقاومة وعلى التغلب على النظام الذي يلفق محاضر إجرامية للناس، ويصنفهم ويتجسس عليهم، ويعاقب المنظمين والمخالفين للقانون بعنف وصرامة أشد. وهذا ينقل رسالة للنظام مفادها أنه لا أحد منا سيتعاون مع النظام وأننا سنعيد هذا الأمر المرة بعد المرة.

ومع ذلك فكثير من نشطاء الحركة التغييرية اللاعنيفة يعملون بانفتاح وثقة، ولا يحاولون إخفاء شخصياتهم وهو ما يميز ويقوي أنشطة اللاعنف، ويطبقون ما يطلق عليه "التعاون المقيد" فيرفضون البوح بعناوينهم أو رفض إعطاء الوعود بالعودة للمحكمة، وهذا يزيد العبء على المحاكم لضرورة التعامل السريع مع المتظاهرين، كما أنه يعزز التضامن بين النشطاء ويزيد من وحدتهم.

سابعاً: القواعد الذهبية لتعزيز مساحة الحرية وإطلاق الإبداع في حركة المقاومة

١. استراتيجية حركة لا استراتيجة فرد: فحتى يتحول عدم التعاون إلى ظاهرة عامة وهو ما يمكن أن يحدث تأثيراً حقيقياً، فإنه ينبغي أن يتخذ القرار بشأن استراتيجية التعاون الكامل أو المقيد أو عدم التعاون بشكل جماعي لا فردي، بمعنى أن يكون استراتيجية حركة لا استراتيجة فرد، حيث أن اتخاذ قرار اللاتعاون مثلاً بشكل فردي قد يضر بصاحبه أشد الضرر رغم عدم احتياج الحركة إليه في المرحلة الراهنة كما أنه لن يحدث التأثير المطلوب، كما أن اتخاذ قرار اللاتعاون بشكل جماعي يمثل

إزعاجاً ومشكلة للنظام، ويعطي مصداقية وشرعية لممارسيه.

٢. **الحفاظ على ثوابت الحوار في اللاعنف:** ففي حالة اختيار استراتيجية التعاون لابد أن تكون المعلومات التي تعطى للمحققين صحيحة، فلابد من الابتعاد عن الكذب أو أنصاف الحقائق، فاستراتيجية اللاعنف تستمد قوتها من المواجهة والمجابهة المفتوحة واللاتعاون، وليس من خلال المراوغة أو التهرب والتحايل، فلابد من الحفاظ على ثوابت أسلوب اللاعنف المتمثلة في الأمانة والصراحة المباشرة في طرح القضية خلال تعامل نشطاء الحركة مع الموظفين المسئولين عن تطبيق القانون.

وتكمن المشكلة هنا في أنه في أغلب الأحيان يكون الكذب أسهل من إعلان رفض التعاون، فعلى سبيل المثال إذا ما سئل المعتقل عن شخص ما فإن الاسهل أن ينفي معرفته به من أن يواجه المحققين بأنه يرفض الإجابة والتعاون.

٣. **تأمين قنوات الاتصال:** لابد من العمل على إيجاد قنوات اتصال بين المعتقلين وبين نشطاء الحركة التغييرية في الخارج قبل البدء في الأنشطة، وهذا الاتصال قد يكون من خلال المحامين أو رجال الشرطة المتعاطفين أو المعتقلين الجدد أو المفرج عنهم، وهذ التفكير في كيفية الاتصال في حالة حدوث الاعتقالات ينبغي أن يشمل حتى مجموعات العمل الصغيرة، فعلى كل مجموعة أن تفكر في تأمين قنوات اتصالها.

٤. **المتابعة والتوثيق وتوفير الاستشارات:** في الأنشطة الكبيرة لابد أن توفر الحركة التغييرية الاستشارة القانونية في موقع الحدث (مكان تنفيذ النشاط) ليخبروا النشطاء بما عليهم فعله خلال اعتقالهم. كما يجب أن تكون هناك مجموعة مختصة بمراقبة ساحة الفعل، فتوثق أسماء وصور المعتقلين والقائمين على عملية الاعتقال، وتوثق أي ارتفاع لمستوى العنف أو القمع.

ولا يحتاج النشطاء إلى محامون إذا اختاروا استراتيجية عدم التعاون، ولكن إمدادهم بالاستشارة القانونية أو وجود محام متعاطف معهم أو مؤيد لموقفهم قد يساعدهم على التعامل بحنكة أكثر مع النظام القانوني القائم.

٥. **بناء قدرة الحركات التغييرية على مواجهة القمع:** من خلال التدريب، حيث تتدرب مجموعات على مناقشة هذه المسائل القانونية، وبخاصةً الجزئية المتعلقة بعدم التعاون والموقف من المحاكمات. وعلى قائد المجموعة أن يضع مجموعة من المواقف الافتراضية وأن يرى كيف سيتجاوب أفراد المجموعة مع مثل هذه المواقف. وتجدر هنا الإشارة إلى أن حركات اللاعنف تصدر لنشطائها دليل (manual) يدرس للنشطاء ويتدربون عليه: ماذا يقولون وكيف يتصرفون ويمكن الرجوع إلى دليل (Act Up).

٦. **المحافظة على القيادة والأطراف:** لابد أن ترسم الحركات التغييرية خطة للرد على النظام منطلقةً من كون كل أفراد المقاومة - سواءً كانوا في القيادة أو في الأطراف-

على نفس الدرجة من الأهمية الاستراتيجية، فحين يكون رد فعل الحركة مقصوراً عند استهداف أفراد من القيادة يقوم النظام باستهداف الأطراف، فإذا لم تستجب الحركة تتمادى الحكومة في اضطهاد الأطراف، وشيئاً فشيئاً تنصرف الأطراف عن الحركة فتجد القيادة نفسها وحيدة في مواجهة النظام، الذي سرعان مايستفرد بها ويفنيها بعد أن فرطت في مصدر قوتها.

٧. تقويض شرعية النظام: من خلال سعي الأطراف المقاوِمة إلى تفنيد الغطاء الأخلاقي والقانوني اللذان استخدمهما النظام أمام المجتمعَ الدولي والمحلي والنيل من هيبته وتبيان عدم شرعيته.

٨. وضوح الرؤية لدى المجموعات المختلفة: من خلال إمداد النشطاء باستراتيجية توضح الخطوط والمبادئ الكبرى (تتناول أسس ومبادئ أسلوب اللاعنف وتوفر رؤية شاملة لخارطة الصراع وتحدد الاتجاهات الداعمة لنشاطات المقاومة).

٩. الرمزية: فحملة مواجهة القمع واستراتيجية اللاتعاون وتقويض شرعية النظام في بدايتها لابد أن تركز على تبيين إمكانية الفعل وخلق حوار مع الجماهير لاقناعها بالمشاركة في الصراع لصالح المجتمع، لا سيما وإن أحسنت المقاومة استخدام الرمزية لتبيين فاعلية العمل إن شارك فيه المجتمع.

المراجع

 Per Herngren, PATH OF RESISTANCE.. THE PRACTICE OF CIVIL DISOBEDIENCE, Revised edition ٢٠٠٤.

 Gene Sharp, The Politics of non-violent action. Boston: Porter sargent, ١٩٧٣.